الفصل الأول

المشروعية والأهداف العامة

المبحث الأوّل
المشروعية والأهداف

مشروعية الحوار:

ترتبط مشروعية الحوار بمآلاته ، كما أنّه يستمدّ أهميته من تأثيره الفعّال على مستوى تبادل الآراء والأفكار ، ونحن نتحدّث عن مجتمع متعدّد متنوّع . ولا نرى أنّه محاولة لإرضاء طرف بعينه أو التزلّف له والتربيت على كتفه[١] . كما لا نرى فيه انسياقاً وراء مشاريع كفرية وتفريطاً في مبادئ عقائدية ثابتة وموالاة للكفار[٢] . إنّنا في الحقيقة نحاول الكشف عن الرؤية الفقهية الموضوعية ، التي غُيِّبت طويلا بفعل سيادة التقليد الذي بسط نفوذه ، وكذلك لعامل الصدمة الحضارية الحديثة التي أحالت الآخر عدواً تاريخياً جمع الاستعمار والكنيسة معا .

زد على ذلك قانون الغلبة ، والذي من مسلّماته التحكم في آلية التوجيه الحضاري ، وقد جذّر ذلك سلبيتنا واستقالتنا عن ميادين الفعل الإيجابي ، وعدم قدرتنا على فهم الآخر بمختلف مكوّناته . لم نفهم تلك التركيبة الدينية في مظاهرها الحضارية ، ولم نستوعب رؤيته للواقع . لذلك كان الغرب ومن خلفه الكنيسة سبّاقا في الدعوة للحوار الديني . إلاّ أنّنا أصحاب مبادئ نسعى إلى تبليغها للناس ، ونحرص على الأخذ بها ، وكل ذلك لا يتسنّى إلا بالتحاور والتقارب والموادعة في غير ذله ولكن بقصد الترويض ، ونشر الاطمئنان في روع الآخر لتوجسه خيفة منّا[٣] .

---

(١) الحبر يوسف نور الدايم: قيادي في حركة الإخوان المسلمين بالسودان: مقابلة شخصية مع الباحث، الخرطوم ٩ يوليو ١٩٩٥.

(٢) محمد عبد الكريم: أحد رموز جماعة أنصار السنة المحمدية: بيان بمناسبة رأس السنة الميلادية لسنة ١٩٩٤.

(٣) حسن الترابي: أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوار مع الغرب: مجلة دراسات إفريقية، عدد ١٠، ديسمبر ١٩٩٣،ص ٢١.

وبرجوعنا إلى وقائع التّاريخ الإسلامي نجد أن اللقاء الإسلامي النصراني لم يكن مبكراً لاعتبار الواقع المكي الوثني ، مع بعض الاستثناءات . لذلك فإنه لا توجد إشارات قرآنية حول أي جدال أو حوار بين الإسلام والنصرانية ، بل بالعكس نجد تعاطفاً بين الطرفين عبر رحلة الهجرة الأولى احتماءاً بنجاشي الحبشة بحثاً عن الأمن وحرية المعتقد وهو ما أكدته آي الكتاب العزيز ، وما وثّقته نصوص التاريخ .

أحدث هذا اللقاء التاريخي انسجاماً مع الأجواء الروحية التي أفاضها القرآن الكريم عليهم ، فيما تلاه جعفر بن أبي طالب من الآيات التي تتحدّث عن عيسى عليه السلام وأمه ، وعن المعاني الروحية الكبيرة التي أوحى بها الله إلى نبيّه ممّا يلتقي مع الخطّ العام للرّسالات السماوية ، لأنّهم رأوا فيها روحانية المسيحية الحقّة ، وإخلاصها وواقعيتها الخاشعة مما جعل أعينهم تفيض من الدمع خشوعاً لله[١] ، مما عرفوا من الحق[٢] .

لم يتوقّف ذلك التأثير على حدود حماية المسلمين لما لهم من مشترك ديني بينهم وبين معتقد النجشي ، بل إنّ ذلك البيان القرآني أحدث انفعالاً في وجدان النجاشي فبادل الرسول ﷺ الرسائل إجابة لدعوة الحق . فكتب له:«بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمّد رسول الله من النجاشي الأصحم ابن أبجر . سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، من الله الذي لا إله إلا هو هداني إلى الإسلام .

أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فوربّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا ، إنه كما قلت ، وقد عرفنا ما بعث به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله

(١) محمد حسين فضل الله: مصدر سابق.

(٢) إشارة إلى سورة المائدة- آية ٨٢-٨٣.

صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأصحابه ، وأسلمت على يديه لله ربِّ العالمين»[١] .

أمّا عن اللقاء الإسلامي اليهودي فقد حدث بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، في إطار رفع قواعد المجتمع الإسلامي الجديد . فكان من الحكمة عدم التصادم معهم ، تجنباً لفتح محاور صراع جديدة في بداية الدعوة . فعقد معهم معاهدة مواطنة لتحقيق مبدأ التعايش السلمي بين الديانتين ، ونشر التسامح ، لإقامة واقع جديد يؤسّس على قاعدة متينة من مواطن اللقاء الكثيرة المشتركة ، والتي بالإمكان أن تسهم في تهيئة مجال أرحب للتفاهم المشترك على أسس الحوار بعيداً عن العصبيات والسلبيات . وأن هذه الوثيقة تتنزل في الإطار العام لعلاقة المؤمنين ببعضهم ، وكأنّه سعي لجعل المجتمع المدني وحدة قائمة بذاتها ، تستوعب التركيبة الإسلامية إلى جانب اختلاف البنية اليهودية ، وأن يكون ذلك على أساس اعتبار المصير الأمني والحياتي مشتركاً بينهما . . .» وأنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . . . وأنّ بينهم النّصر على من دهم يثرب . . .»[٢] .

تمثّل وثيقة المدينة عقداً اجتماعيا فريداً لتحقيق التقارب والمخالطة ، من أجل التعايش الديني والاجتماعي ، لولا العداء الذي أبطنه اليهود حينا وأعلنوه حينا ، فَهُم أوّل من بدأ بإثارة أسباب الفتنة ، من طرح تساؤلات وشبهات مغرضة ، محاولة لشغل النبي ﷺ عن مهمّته الأصلية في بناء القاعدة الجديدة ، وكذلك لإلهاء المسلمين عن همومهم العملية ، بمحاولة إرباكهم عقيدياً وزعزعة استقرارهم النفسي ، وهم يؤسّسون لحياة جديدة في ظلّ الإسلام . فكان من عمل النبي ﷺ أن بدأ قطع الطريق أمامهم دفعاً لما عساه أن يعرقل مسيرة بناء

---

(١) محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة: دار النقاش-بيروت-١٩٨٣-ص١٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ج١ / ص٣٤٨.

الدولة الجديدة ، وذلك بأن طرح أمام المسلمين الخط العام الذي يلتقي عنده المسلمون في علاقاتهم مع أهل الكتاب .

بدأ الرسول ﷺ بالتخطيط للفكرة العامة التي تحكم أسلوب هذا الصراع الفكري بين الديانات . فوضعها في إطار تبتعد فيه عن كل الأجواء النفسية الحادة ، الزاخرة بعوامل الإثارة والحقد ، لينتهي إلى إحدى النتيجتين؛ إمّا وحدة الموقف وإمّا الالتقاء على أساس وضوح الرؤية لما يفكّر به كلّ منهما . وقد كان الإسلام واقعياً عملياً ، لأنّ فكرة التعايش السلمي بين الأديان التي حمل الإسلام لواءها ، لا تلغي عوامل الصراع الكثيرة التي لابد أن تظهر ، ولا تمنع الإسلام في الوقت ذاته من ممارسة دعوته التبشيرية مع أهل الأديان كما يمارسها مع غيرهم ممّن لا يدين بدين .

وقد أسّس الرسول ﷺ ، بذلك مبدأي الفكرة والأسلوب ، من حيث البدء بمواطن اللقاء التي تركّز التعايش على أرض مشتركة صلبة يقف عليها كل الفرقاء ، وتوحي باكتشاف مجالات جديدة محل اتفاق ، أما الأسلوب فهو البحث عن الأفضل والأحسن ، من حيث الكلمة والحركة والجو النفسي العام ، باستبعاد الكلمات الحادة والحركات والأجواء المتوتّرة ، حتى يشعر الآخرون أن الإسلام يحترم أفكارهم وشعورهم وطريقتهم في التفكير[1] ، وذلك من خلال:

- البحث عن الحق .
- حسن القصد .
- التجرّد في طلب الحق .
- قبول الحق إذا ظهر بلا إكراه .
- الصبر على ما يترتّب على المحاورة .

---

(١) محمد حسين فضل الله: مصدر سابق.

- المعاشرة بالحسنى[١] .

وبذلك وضع القرآن الكريم الخط العريض لمنهج المحاورة القائم على: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، فهذه دعوة مفتوحة للحوار والوصول إلى اتفاق حتى الحد الأقصى ، أي التوحيد في العقيدة .

أما دون ذلك فكل جدال مع أهل الكتاب يقتضي من المسلمين أن يمارسوه على أحسن أوجهه ، فالله سبحانه وتعالى طالبنا بالأحسن في هذا المجال وليس بالحسن ، كما أن الآية توحي للمسلمين أنه إذا لم يكن في جعبتكم الأسلوب الأحسن في الجدال لا تجادلوا أهل الكتاب ، نهيا عن الجدال الخشن والعدائي أو استعمال العنف اللفظي . إن الحوار بالنسبة لنا مقرّر شرعاً[•] ، وأن بابه مفتوح

---

(١) محمد عثمان صالح: الحوار بين الأديان وضوابطه: ورقة قدمت في الحوار بين الأديان – الخرطوم: ٨-١٠ أكتوبر ١٩٩٤ – ص ٨.

(•) سؤال حول: مشروعية محاورة النصارى: الموقع: إسلام أون لاين islamonline.com. القسم: اسألوا أهل الذّكر. عنوان الفتيا: المحاورة الإلكترونية مع أهل الكتاب. التّاريخ: ١٧/ ٠٤/ ٢٠٠٤: "يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي :» نحن لا نحاور النصارى ليرضوا عنا، وإنما نحاورهم لنبحث عن أرضية مشتركة نعمل على أساسها ؛ ولا يعادي بعضنا بعضًا، فالله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ ﴾. فقد أمرنا الله أن نجادلهم بالتي هي أحسن ؛ ونحن نجد أن الدعوة الإسلامية حينما وضع الله منهجها في كتابه قال ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ . ندعو الموافقين بالحكمة والموعظة الحسنة، الحكمة التي تقنع العقول والموعظة التي تهز القلوب، واكتفى القرآن في الموعظة بأن تكون حسنة ولكنه لم يكتف في الجدال إلا بالتي هي أحسن ، =

قصد الوصول إلى كلمة سواء في العقيدة ، كما أن الجدال باب مفتوح يتّسم بالتي هي أحسن ، بغض النظر عن الظروف السياسية والمعطيات الداعية له في زمان ومكان وظروف محدّدة .

إلا أن الحوار العقدي هو أبعد ما يكون في هذه المرحلة عن حسابات كل الهيئات المسيحية الداعية للحوار ، فالغايات هنا مختلفة تماما ، وأغلبها يحمل مقاصد وحاجات سياسية ، وهو ما يفرض على الطرف المسلم القبول بالحوار على المستوى السياسي ، أو مستوى العلاقات فيما بين أتباع الطرفين من جهة ، لكن عليه من جهة أخرى أن يسجّل نقطة فيما يتعلق برغبته في الحوار على

= لأن الموعظة مع الموافقين والجدال مع المخالفين، فإذا جادلت المخالفين فجادلهم بأرق الألفاظ وألطف الأساليب التي لا توغل الصدور، والتي تبني ولا تهدم، وتجمع ولا تفرق، ﴿ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، بمعنى لو كان هناك طريقتان طريقة حسنة جيدة وطريقة أحسن منها وأجود.

فالمؤمن مأمور أن يحاور ويجادل بالطريقة التي هي أحسن وأجود، وهذا هو ما علمنا القرآن إياه، أمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يقول للذين يخاطبهم ويحاورهم من المشركين «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» فهل الرسول صلى الله عليه وسلم شاكٌ في نفسه؟، إنما هذا من باب إرخاء العنان وكسب الخصم «قُل لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ» كان مقتضى الكلام في الظاهر أن يقول: «لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تجرمون"، إنما لم يشأ أن ينسب إليهم الإجرام، ولكن قال: «وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ» فالقرآن يقول: «وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ» يعني: اذكروا النقاط الجامعة، الجوامع المشتركة بينكم وبينهم ولا تذكروا نقاط التميز والاختلاف، عندما تحاور حاول أن تصنع أرضية مشتركة بينك وبينهم، وقل: كلنا نؤمن بإله واحد فتعالوا نلتقي على كلمة سواء.

فنحن لا نحاورهم ليرضوا عن ديننا فلن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم، وهذه حقيقة، إنما نحن نحاورهم لنقف على أرض مشتركة نقف جميعاً ضد الإلحاد والإباحية، نقف ضد المظالم، نحاورهم فنقول لهم: ما موقفكم من قضية فلسطين ؟ أو من قضية القدس ؟ أو من قضية المسجد الأقصى ؟ نحاول جمع النصارى معنا لنقف سويًا خصوصاً في قضية فلسطين، فإن فلسطين فيها مسلمون ونصارى نحاول أن نجمع مسلمي القدس ونصاريها معاً لنقف ضد الصهيونية وضد التعنت الإسرائيلي والتجبر الإسرائيلي فهذا لا مانع منه ».

المستوى العقدي ، إلى جانب التركيز على إعداد التعريفات والمصطلحات ومحاولة طرحها كمحور للنقاش للتعارف عليها ، وهي مدخل لغرس جملة مفاهيم يتواضع عليها [١] .

وبهذا امتزجت الطريقة بالفكرة التي يتركز عليها الإيمان بالإسلام الذي يعتبر جسراً بين الديانتين ، لأنّه لا يشكو من أية عقدة إزاء ما تقدّس من أنبياء أو تؤمن به من عقائد وما تمارسه من شريعة ، فهو يؤمن بالأنبياء السابقين كما يؤمن بالنبي محمد ﷺ ، ويقدّس الكتب المنزلة بوحي من الله كما يقدّس الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ ، وينطلق من فكرة التوحيد التي تدين بالإله الواحد ، كما تنطلق هي من تلك القاعدة ، وهو من حيث المبدأ والمنتهى يسلم وجهه لله وحده .

وفي هذا الأسلوب شهادة على مرونة الإسلام ووداعته بقصد الالتقاء بهم من خلال الإيمان بمقدساتهم ، من موقع الإيمان بمقدساته ، وليس في ذلك أي تنازل عن مبدأ عقدي ، بل هو بحث عن نقاط الالتقاء والانسجام ، وهو ما يتّفق مع واقع العقيدة ، ممّا يضفي على الحوار شعوراً بالتقارب والتشارك الرّوحي ، الذي يفهم الآخر أن الاقتراب لا يبعده عن مواقعه الأصلية من حيث المبدأ ، وإنّما هو أوبة وإعادة اتفاق .

ثم إن البحث عن الاتفاق والسير مع الآخرين مع الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ، لا يتعارض مع التعاليم الإسلامية ، التي ترى في مواطن اللقاء أساساً لتحصيل قدر أكبر من حرية الحركة في التواصل مع الآخرين ، وتحقيق معاني التعارف ، إلا أن الخطأ هو عدم قدرة البعض على استيعاب حركة التاريخ وقصور فهمه للنصوص . فيتصرف كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر

---

(١) منير شفيق: حول الحوار الإسلامي – المسيحي: مقال ضمن: الإنسان المعاصر، كتاب دوري يصدر عن مركز البيان الثقافي – العدد ١ – شتاء ١٩٩٥ – ص ١٢.

بالبعض الآخر ، فلا يتعامل إلا مع الآيات الموجهة نحو الشدة في معاملة الكافرين ومحاصرتهم ، ولا يلتفت أصلا لآيات التواصل والتوادد الداعية للبر والقسط[١] . والعقلية الإسلامية الناضجة الواعية تبقى أقدر على التحرّك في مجال النصوص ، وفهمها واستنباط الأحكام وتفعيلها ، خدمة لمصلحة الأمة ، من دون تقصير أو تفريط .

«ولهذا فإن المسلم الذي يؤمن برسالة سيدنا محمد ﷺ ، يسعى للتحاور والمحاجة وتبليغ الآخرين رسالته لا لفرضها عليهم قسرا بل لتجديد الدين في النفوس ، لأنّه يتكلّم بالشيء المشترك والتّاريخ الديني المشترك بين الرسالات التي تؤمن بأن رسالته ختام تسلسلها ، وهو ينظر إليها كلها بالقواسم المشتركة في قيم وعادات وقوانين وسلوكيات [٢] . وقد قدّم حسن عبد الله الترابي مقترحا عمليا لحوار الحضارات من باب حوار الإسلام والغرب ، مقدماً مشروعاً متكاملاً لإبلاغ وجهة النظر الإسلامية من قضايا الإنسان والكون ، حيث رسم خطة استراتيجية للحوار ، نعرضها على النحو التالي:

أولا: الحوار ومبرراته :

أ ـ إنه ضرورة شرعية: لتبليغ الرسالة وحمل أمانة الدعوة فالأصل هو التفاعل التبليغي وعدم جواز السكون .

ب ـ وضرورة عملية: يفرضها الواقع العالمي القائم على الاتصال والتفاعل والاعتماد المشترك بين الأمم والشعوب والجماعات والحركات ، مما يوجب علينا فهم الآخرين وتفهم واقعهم ومعرفة الحقائق للتعامل معها .

ج ـ ضرور لبناء مستقبل الأمّة: ذلك أنّ فهم مقاصد الدّين وتجسيد روح

---

(١) انظر: ناصر بن علي الغامدي: لا تشاركوا النصارى في أعيادهم – دار ابن القيم للنشر والتوزيع- الدمّام – طبعة ١٩٩٠.

(٢) حسن عبد الله الترابي: مرتكزات الحوار مع الغرب: مجلة دراسات إفريقية – العدد الثاني عشر – يناير ١٩٩٥ – ص٢٥.

التديّن الحقيقي يدعونا إلى الانفتاح على قواعد تأخذ بعين الاعتبار خلاصة التجارب الانسانية والسعي إلى تأصيلها .

ثانيا: إطار الحوار وطبيعة العلاقة:

أ ـ العلاقات النظرية والعلاقات الدولية .

ب ـ العلاقات الواقعية بصورها المختلفة ومراحلها ونماذجها .

ثالثا: قضايا الحوار:

أ ـ الخطاب الثقافي الحضاري:

- تاريخ النهضة الإسلامية والانحطاط الحضاري .
- حوار الحضارات قديما واتصالها .
- الإيمان والحياة .
- الدين ومثار قضية التجديد ودواعيه .
- الدّين الثابت والتدين المتطور .
- عبرة تتابع الرّسالات .
- التقليد الحضاري الإسلامي بين التقليد والتجديد .
- الطريق إلى الثورة السياسية والفكرية .
- أصول الفقه وحركة الإسلام من الواقع الحديث .
- منهجية التشريع الإسلامي وتنزيلها على الواقع المتجدد .

ب ـ الخطاب السياسي:

- المجتمع الإسلامي وأبعاده السياسية .
- عيب الشرعية الإسلامية .

- زيف التمثيل السياسي .
- انفراط الوحدة السياسية .
- كبت الحرية والشورى .
- تضخّم السلطان .
- الظّلم السياسي
- الفساد السياسي .
- الاضطراب السياسي .
- الفشل السياسي .
- النظام السياسي في الإسلام:

١ . تغيير الإنسان (الدعوة والتزكية) .

٢ . تغيير المجتمع (التنظيم والحركة) .

٣ . تغيير الواقع (الجهاد والحكم) .

٤ . الشورى والديمقراطية .

٥ . الصحوة الإسلامية والدولة القطرية

٦ . مشكلات تطبيق الشريعة .

٧ . النظام الدولي الجديد (رؤية إسلامية) .

ج ـ الخطاب الاقتصادي:

- فلسفة الاعتماد على الذّات وتعبئة الطاقات .
- استغلال الموارد المحلية والسيطرة عليها وتوجيهها .

- استنباط التكنولوجيا محلياً وتطويرها .
- دور المصارف الإسلامية في دفع عجلة الاقتصاد .
- العدالة في المعاش والثروة .
- قضايا الجوع والفقر والإنتاج .
- الزكاة والتكافل والجهد الطوعي في الدولة الإسلامية .

د ـ الخطاب الإعلامي:

- قيم الرّسالة الإسلامية .
- دور الإعلام في تبليغ رسالة الدولة الإسلامية .
- الغزو الإعلامي الخارجي وكيفية تجاوزه والردّ عليه .

هـ ـ الخطاب الاجتماعي:

- قضايا الأسرة والمرأة .
- الجريمة والأمن الاجتماعي .
- اتّصال المجتمع وآليات تسخير الجهود وتوجيهها للبناء والتعمير .

و ـ الخطاب الفني والرياضي:

- رسالة الفن في بناء القيم الجمالية .
- رسالة الرياضة التبليغية .
- تأصيل الفنون والألعاب الرياضية .

رابعا: وسائل الحوار:

أ ـ بناء النماذج العملية والعلمية مقالاً ومثالاً حتى تعطي القدوة الحسنة .

ب ـ أساليب الخطاب ومنابره: المؤتمرات ، الندوات ، الكتب والصحف والمجلات ، تبادل الزيارات ، الإذاعة والتلفاز .

ج ـ تعبئة شعاب الاتصال كافّة لإدارة مسالك لحوار شامل وراء أغراض التجارة والسياسة والرياضة والفن والتبادل العلمي والثقافي والاقتصادي .

د ـ إنشاء مراكز إسلامية ومساجد لنشر العقيدة والثقافة الإسلامية في الغرب .

هـ ـ تنسيق المبادرات لتعديد الاتصال والنشر والحضور المستمر في الإعلام الغربي ، وتنظيم معارض ومهرجانات ودورات لتعليم اللغة العربية تساهم في إنتشار الإيمان وثقافة الإسلام .

خامسا: إجرائيات الحوار[1] .

يعتبر الحوار الحضاري جزء من فهم نصوص الدين ، الموجّهة إلى التعارف والتعاطي مع الآخر ، بغضّ النّظر عن منطلقاته الفكرية ، من أجل الكسب لصالح الإسلام . فنحن أصحاب رسالة وأمّة الدعوة ، فلا حجر على محاورة أهل الكتاب ، خاصة الذين لا يُكِنُّون عداء للمسلمين ولا يتبنون دعوات العنصرية والعداء المُعلن الذي تحرّض عليه بعض الأطراف ذات المصلحة . كما يجب على المسلمين عند المحاورة ألاّ يتهجّموا أو يتّهموا غيرهم ، فإنّ ذلك لا يعبر عن نية صادقة في الحوار ، فمسالك التحاور تبنى على التقريب بين وجهات النّظر ، وتبتعد عن الالزام . بل نعتمد أداة الإقناع القائمة على النقاش الهادئ ، بما يفصل في المشترك ويتجاوز المختلف فيه حتى تتهيأ شروطه .

احتوى القرآن الكريم أفضل الأساليب وأحكم المناهج وأقوى الحجج في حواره مع أهل الكتاب وغيرهم . وقد نزل على محمد ﷺ بالحجج البيّنة

(١) حسن الترابي: أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوار مع الغرب: مجلة دراسات إفريقية، العدد ١٠، ديسمبر ١٩٩٣، ص ٣٤.

والبراهين القاطعة[١] ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [الصف:٩] ، وقال عنه ﷺ :«فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهۡدِىٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ ﴾ [الجن:١ ،٢] ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»[٢] .

ففي كتاب الله تدرّج في آليات التحاور وتنوّع في الأساليب ، فهو منهج سائق لا محالة إلى هداية المتقبّل ، كما أنّه موصل إلى كشف الأرضية المشتركة التي من الممكن أن تمثّل نقاط إنطلاق أو أداة تُوفّر مطلب التعايش والتعارف مع الاحتفاظ بالخصوصية . وقد تركّز المنهج القرآني في محاورة أهل الكتاب حول الأساليب التالية:

- الاستفهام الإنكاري .
- القصص القرآني .
- ضرب الأمثلة .
- الوعظ والتذكير .

---

(١) خالد القاسم: مصدر سابق: ص٢٠٦.

(٢) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، ج ٥ ص ١٧٢. حديث ٢٩٠٦ تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دون تاريخ). قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحديث مقال.

- التحدّي والمباهلة .

- الاستدلال باستحالة ما يدعونه عقلا .

- إظاهر سوابقهم مع رسلهم .

- إثبات أن دعواهم خالية من الحجة والبرهان .

- الاحتجاج ببراهين نبوة محمد ﷺ .

- الاستدلال بنصوص كتبهم وبما يسلمون به .

- الاستدلال بلازم كلامهم .

- الاستدلال بزيف كتبهم .

- إثبات تناقضهم .

- إبطال دعواهم بإثبات نقيضها .

- الاستدلال عليهم بإظهار التشهي والتحكّم[١] .

ولهذه الاعتبارات يتجنّب المنظّمون للحوارات واللقاءات الدينية تضمين أي محاور عقدية ، لما يسبّبه لهم من حرج الدخول في جدل لاهوتي ، يمسّ أصول الاعتقاد وطبيعة الإيمان . ففي هذه الحالة يمكن تشجيع المشترك من القيم ، وما عساه يدفع مسيرة الإنسانية نحو الخير والرفاه العام . فقد جاء الإسلام الحنيف يعلن الأخوّة الإنسانية ويعلن الأخلاق السامية بكلّ السبل النظرية والعملية[٢] . وحري بنا أن نتعامل مع أصحاب العقائد من خلال ما يقدّسونه: « افتح فمك لأجل الأخرس في دعوى كل يتيم ، افتح فمك ، أقضي بالعدل وحام عن

(١) خالد القاسم: مصدر سابق: ص ٢٠٩.

(٢) حسن البنا: السلام في الإسلام، من رسائل الإمام الشهيد (٢)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة (بدون تاريخ) ص ٢١.

الفقير والمسكين »[١] .

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أصحاب الاختصاص الفقهي والتشريعي ، الذين أبدعوا في مجال تخصّصهم ، إلا أنّهم لم يتجاوزوا ذلك إلى تخصّص في التاريخ الإسلامي ، أو الفلسفة الإسلامية ، أو في بعض المسائل الأخرى ، التي حازها غيرهم من أبناء الإسلام . لم يدفع ذلك الفقهاء إلى التواضع لتلك النُّخب ، بل يتّخذون من قداسة مركزهم الذي يشغلونه في الدائرة الإسلامية الواسعة ، طريقا إلى الدّعوة لتقديس الخطأ الذي يقعون فيه فكريا وعمليا ، ليفرضوا على الناس سلطة رأيهم ويرهبونهم فكريا ، منعا من مناقشتهم أو مجادلتهم ، ثم يبدأون بعد ذلك برمي هؤلاء النّاس بالنعوت القاسية ، كالجهل والزندقة والانحراف ، ممّا يوجب انسحابهم عنهم في المواقف الجديدة التي تفرزها الأحداث وتؤدّي إليها التطوّرات .

إنّ فهم النصوص وتفسيرها ليس حكرا على طائفة أو مؤسّسة معيّنة ، وإنّما هو مشروط بما وضعه علماء الإسلام من ضوابط وآليات واضحة صارمة . فرمي الآخر بالتقصير ومجانبة الصواب لا يدعمه دليل ، فما اعتبره مجتهد دليل منع اعتبره آخر دليل جواز الحوار . ثمّ إنّ تواصل الناس على اختلاف أديانهم وأعراقهم ، بما يفيدهم في حياتهم ويحقّق العيش المشترك يعتبر من مقاصد الشرع ، في أمره بالتعارف والتواصي بالحق والعدل ، وإلاّ كيف يمكن أن ننّزل سنّته ﷺ على الواقع؟ وكيف يمكن أن نفسّر التراث الإسلامي ونتعامل معه ، وقد تعدّدت تجاربه ومواقفه؟ .

إنّ المطلوب من الداعية هو أن يكون على ثقة بمبادئه وما يحمله من أفكار موكول إليه تبليغها للآخرين ، باختلاف مواقعهم وأفكارهم وعقائدهم ، وأن لا يهمل أي عنصر من عناصر التأثير ، بقصد إيصالهم إلى الحقيقة ، أو في الإيحاء

---

(١) أمثال: الإصحاح ٣١/٨-٩. - لاويين: الإصحاح ١٩/ ٢٥ – ٢٧. - مزامير: المزمور ١٣٣. - أشعياء: الإصحاح ١/ ١٦ – ١٧. - رسالة بولس إلى أهل رومية: الإصحاح ١٣/ ١٨ – ١٩.

إليهم بالإطمئنان إلى قوّة هذه الحقيقة . وعلى هذا الأساس فقط يمكن أن ننفتح على الغير ونكسّر الطوق التقليدي الذي ضرب من حولنا وزدناه شرعية بالصبر عليه جهلا . إنّ واقع التحدي يفترض استجابة مناسبة منضبطة شرعا ، تحقّق تفاعل المسلم ضمن واقع متغيّر ، تسوده عقيدة الإلحاد والشذوذ ، في سباق مرير نحو الكسب المادي .

أهداف الحوار:

في تصوّرنا لا يمكن لأحد أن يستأثر بتحديد نهائي لأهداف الحوار الديني ، وليس له أن يرسم مستقبله . كما أنّه ليس لأحد أن يمنع غيره من وضع تصوّره الشخصي لتلك الأهداف أو بعضها ، وهو ما يطلق عنه «الأهداف القريبة» . والمقصود بالأهداف القريبة هي الخاصّة بقطاع معيّن أو جهة محدّدة لها صلة بقضايا الحوار ، ترسمها وِفق سياستها العامّة في التعاطي مع الحوار الديني ، إن كان المنطلق تقليديا أو أبعد نظرا . أمّا المسلم فهو ينظر عادة للأهداف من زاويتين:

ـ الأهداف الخاصة: ونعني بها المشترك من الحوار من قبيل ما يحقق التعايش والتقارب ، أو مشاغل تهمّ الطرفين ، أو مواضيع مصيرية لا يستقل بها طرف عن الآخر ، خاضعة للتحاور ، وتنسيق الرؤى .

ـ الأهداف العامة: يتعلّق أغلبها بالبعد العقائدي الدعوي ، مثل[1]:

- دعوة أهل الكتاب للإسلام: بإبلاغ كلمة الله لهم وتقريبهم إلى الإسلام للإطّلاع على مبادئه ، والرّجوع بهم إلى ما جاء في كتبهم المبشّرة برسالة خاتمة ، وربط الرّسالات بأصل واحد ، وأن الدين عند الله الإسلام ، وأنّ ما جاء من عند الله هو الحق ، وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل ، تقريرا لنصوص القرآن ، وإنفاذا لأمر الله بتبليغ رسالته للناس ، مع اعتبار الخير الذي يكمن في

(١) خالد القاسم: مصدر سابق : ص ١٢٢. (بتصرف).

وجدان النصارى ، لأنّهم أقرب النّاس للذين آمنوا ، وقد ذكر القرآن رهبانهم بخير ، لمعرفتهم الحق وكثير منهم يتبعه . وأنّ البحث عن المشترك العقدي والأصل الإلهي كفيل بالدّفع نحو إبداء الاستعداد لتقبّل الاستماع إلى خطابنا ، ومحاولة فهم مقصدنا ، من خلال دعوة التوحيد التي نقودها ، والتي تستند إضافة لما قرّره القرآن الكريم على ما هو موجود عندهم ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦] ، سورة الأعراف: آية ٦٥، ٨٥،٧٣.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بمحاورة أهل الكتاب ودعوتهم إلى كلمة سواء هي عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ، وإن كان غير ذلك بأن استكبروا فلنشهد عليهم الله ونقيم عليهم الحجة[1] . وبه لَكَم كاتب رسوله ﷺ الملوك والأمراء وشرفاء القوم في مختلف نواحي الأرض ، يدعوهم للإيمان بالله ، وإعلان مبدأ التوحيد ونقد الوثنية ورموزها .

كما حاور الرّسول ﷺ نصارى الحبشة عند البيت الحرام ، فاستجابوا لدعوته لّما لامست شغاف قلوبهم ، ووافقت ما هو مكتوب عندهم ، وقد أنزل الله قوله ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

(١) سورة آل عمران: آية ٦٤.

خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٥] . ومثاله تفاعل النجاشي مع خطاب البعثة الإسلامية الأولى المهاجرة ، وتحاوره مع الصحابة بعقلية تطلب الحقيقة وتنشد إجابة مقنعة ، فلا غرابة بعدها أن يسلم نجاشي الحبشة ويتبعه كثير من قومه .

- بيان أنّهم على الباطل: بقتلهم الأنبياء وتحريف كتبهم وعبادة الأوثان . تحدّثت عن ذلك سورة البقرة : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة:٦٥] ، ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٧٥]. ومنه رفض وفد نصارى نجران المباهلة لمّا دعاهم الرّسول ﷺ إليها ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران:٥٩ـ ٦١] .

ونشير إلى أنّ كتبا كثيرة صُنّفت في الردّ على النصارى ومناقشتهم ، وهو ما تزخر به المكتبة الإسلامية . مثل الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية و إظهار الحقّ لرحمت الله الهندي ، وغيرهما من الكتب الحديثة . إلى جانب ما كتبه أهل التخصّص من النصارى في نقد العقائد النصرانية . وهو ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:٧٩] ، ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ

أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٥ ، ١٤٦] .

- الردّ على شبهاتهم: دفاعاً عن الإسلام وانتصارا لقيم الخير والحق والعدل التي حاولوا طمسها ، بما يثيرونه من شبهات وأباطيل . كما أن العديد منهم لا يحجبه عن الإسلام إلا إزالة الغموض الذي حجب عنهم الحقيقة . وقد ركّز القرآن الكريم على ذلك ، بذكر شبهاتهم والرد عليها ، وهذا من حكمة نزوله منجما ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان:٣٢ ،٣٣] ، ومن شبههم إنكارهم للرسالة بتعلة أن محمداً يمشي في الأسواق ويأكل الطعام ويخالط الناس ، فقالوا ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:٧] ، فجاء الردّ القرآني ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان:٢٠] ، ومن ذلك محاجة موسى وفرعون .

وقد أخذ ابن تيمية على من تصدى لإثبات دلائل النبوة ضعف أجوبتهم التي هي أقرب إلى تقرير شبه الطاعنين من تقرير أصول الدين . لذلك فإن من شروط من يتصدى لهذا العمل أن يكون متمكّنا من أصول العقائد مطلعاً على ما عند الآخرين وعارفا بأساليبهم وطرقهم .

- تثبيت المؤمنين: وذلك بإظهار قوة حجة الإسلام وغلبته ، وبيان ضعف ما يدين به أهل الكتاب . فهو وسيلة لتثبيت المؤمنين والانتصار لهم ضد ما يستهدف زعزعة الإيمان في قلوبهم وضرب الاستقرار بينهم ، وهو في جوهره أسلوب القرآن الكريم في بيان حقائق الإيمان وجوهر التوحيد ، وتعريف

المؤمنين نوايا غيرهم تجاههم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩] .

- تحقيق مصالح المسلمين المشروعة: بمحاورة أهل الرأي والتدبير ، ممّن يستمع الرأي المخالف ويحترمه . وما لذلك من نتائج طيّبة يُرجى خيرها . فكم من مصطلحات شُذِّبت وغُيِّرت دلالاتها ، وكم من مناهج تعليمية في الغرب وقعت مراجعتها . ما كان كلّ ذلك وغيره ليحدث لولا هذه الحركة الحوارية الهادفة . وإن كان غالباً ما تحدث هذه العملية من خلال العلاقة الثنائية بين العلماء والمفكرين ، بعيدا عن بعض المؤسّسات الكنسية التي تحرص على تمييع المسائل وتجميدها .

ودليل ذلك تعدّد المبادرات الشخصية من رموز الفكر الغربي ، من أصحاب الفكر المستقل ، والذين لهم اختلافات جوهرية وتناقضات مع تراثهم . فما بالك بمحاورة أكاديمية تقوم على مراجعات جادة واسعة النطاق وعميقة التحليل . ويعتبر «الكسيس كاريل» و"موريس بوكاي» و"كرسي موريسون» وغيرهم كثير أمثلة إيجابية قابلة للتوسّع والتنوّع . إلى جانب إمكانية تحييد كثير من المؤسّسات وانخراطها في مشروع الحوار الهادف .

ونشير في هذا السياق إلى أنّ أهداف وقرارات تجربة الحوار بقيت رهينة أجهزة ومؤسسات دولية ، ممّا أضفى على الحوار طابعا «فولكلوريا» . فكان من الأجدر في إطار رؤية جديدة للحوار ومن خلال خطة طويلة المدى أن يعاد التأسيس لهذه الحوارات ، انطلاقاً من تفعيل الحوار في الإطار القُطري والإقليمي ، لتنضيج تجربة خاصة تقدّم كمشروع بديل لإدارة حوار هادف ، وأن لا تبقى التجربة العربية رهينة المبادرات العالمية والنابعة من أرضية مغايرة .

أدّت هذه المعطيات إلى نشوء حاجة لدى الأطراف المتديّنة في الجبهتين

الإسلامية والنصرانية إلى التحاور لمواجهة التحديات القديمة المتجدّدة ، نحو تأسيس جبهة للمتديّنين تتصدّى لتغوّل قيم العلمانية المتناقضة مع مبادئها وغير المحترمة للخصوصيات الثقافية والحضارية للآخرين . ومن نافلة القول أن الحوار إذا ما أريد له أن يغني العيش المشترك مدعو ألا يقتصر على رجال الدين وأهل الصفوة من المثقفين وقادة الرأي المتنورين ، وإنّما يستوعب كذلك جماعات النّاس باختلاف ثقافاتهم ومستوياتهم ، فتدخل عندئذ في نسيج حياة الناس اليومية ونوعية علاقاتهم . وإن ذلك مشروط بتوفر:

- النزاهة الفكرية .

- الحذر من الوقوع في سياسة الكيل بمكيالين .

- تحرير الحوار من موازين القوى السياسية والعددية .

- التمييز بين الديني والسياسي ، بمعنى الإحجام عن تسييس الدّين بشكل مصطنع أو تسخيره لحسابات سياسية ، والاعتراض على محاولة إضفاء الشرعية الدينية على المواقف السياسية ، حتى لا تكتسب صفة القداسة .

حول مبدأ الاتفاق والافتراق :

تعددت الهيئات الإقليمية والدولية الرّاعية والمنظّمة لحوار الأديان ، إلا أنها وإن اتّفقت جميعاً حول مبدأ الحوار ، فإنها كثيرا ما تختلف من حيث طبيعتها وأهدافها ، لاختلاف الانتماء والولاء والتخّصص . لذلك يجب التعرّف على هذه المؤسّسات: أشهرها وأفضلها . وأنّ هذا الموقف لا يتطلّب من المسلم أن يكون واضحاً فحسب بل عليه أن يكون عارفاً بمن يحاور . فقد بدأ كل من رجال الدين النصارى وعلماء الإسلام ومن تبعهم من هيئات ومؤسسات يشعرون بتحد كبير ، سببه الخيار العلماني الليبرالي الدافع نحو فرض قيم وأخلاق تهدّد الثوابت الدينية ومكونات المجتمع الأساسية ، بتحطيم العائلة وإشاعة الشذوذ والإجهاض والعلاقات الجنسية المحرمة ، والترويج الواسع

للمخدرات والتوسع في نشر القيم الإلحادية المؤدّية بالإنسان إلى الانفلات من كل قيد وضابط ، لا سلطان إلاّ غرائزه ورغباته .

خطر آخر يتمثّل في ظهور منطق تحريضي هدفه فتح جبهات جديدة قديمة ، تجعل من الإسلام العدو الأول للغرب . زد على ذلك تنشيط بؤر الصراع المذهبي والديني والعرقي . كما بدأت تبرز نوايا أخرى تسعى لتغيير مجرى الحوار وتهميش غاياته ، بما يفقده قيمته ويبعده عن الواقع ، بما لا يخدم العلاقات الإسلامية النصرانية ، وما تحتاجه من حوار لتجاوز الإنكسار التاريخي ، وتحصيل الاتفاق حول المشترك والتعاون فيه ، لمواجهة التحديات المهددة لكلا الطرفين ، كما حدث في مؤتمر السكان بالقاهرة . ومن تلك الإشكالات التي لا بد للحوار الإسلامي النصراني أن يعالجها:

١ ـ التحدي الذي يواجه المؤمنين بالله ، ممّن يحملون قيما دينية وخلقية تتعلّق بالعائلة والأفراد والجماعة الإنسانية ، والمتمثّل في الفكر الإلحادي وتبعاته . فيمكن لهذه النقاط وغيرها أن تشكل لقاء إيجابياً بين المتحاورين وتؤسّس لجبهة المتدينين .

٢ ـ إعادة تشكيل علاقة العالم الإسلامي بالعالم الغربي ، على أسس الشراكة والاحترام المتبادل ، وتوقير القيم الدينية وتشجيعها وتنشيطها . بعيدا عن كلّ أشكال العدائية والهيمنة . عملا يحتكم لكريم العقائد ويحذر السياسة ورعونتها.

٣ ـ إشكالية النظام الدولي الجديد المتغوّل ، الذي يكدّس أسلحة الدمار الشامل ويشجّع الحروب ، ويعرض الكون عامة للخطر ، بسبب الركض وراء حب السيطرة والتنافس بلا ضوابط أخلاقية وقيم سامية . فيمكن أن تتضافر جهود المتحاورين في الدّعوة إلى السلام العالمي ، ووقف حركة التسلح والمطالبة بنظام عالمي عادل ، يؤسّس على التعاون وبذل الجهد المشترك لمحاربة الفقر والمرض والجهل ، ومنع انتشار الجريمة والاتجار في المخدرات وتعاطيها .

٤ ـ تحديد تعريفات مشتركة ومعايير موحدة لعبارات الإرهاب والتطرّف والتعصّب والأصولية ، وكذلك التسامح والتفاهم والتعايش المشترك .

وحري كذلك بالطرف النصراني أن يسعى جهده للتقليل من غلوّ أتباعه التاريخيين ، والامتناع عن إثارة مشاعر المسلمين واستفزازهم ومسّ مقدّساتهم ، ونفي التّهم عنهم ، وعدم تجريمهم أو تخصيصهم بما يرتكب من عمل مشين . ومن ذلك:

- ما يثار ضد الجاليات الإسلامية في البلاد الغربية ، وأن ذلك لا يتجاوز مجرد مخاوف مبالغ فيها ، أو افتعال لقضايا جانبية مغرضة [١] .

- استغلال بعض الاشكالات الداخلية التي توهم بوجود صراع إسلامي نصراني ، واتخاذها ذريعة للتدخل الدولي (مثال السودان) .

- إشكالية الاحتكاك بين حركة الدعوة الإسلامية والمنصّرين في مناطق مستقلّة عن الطرفين كما هو الحال في بعض المناطق الإفريقية .

- إشكال التنصير في المجتمعات الإسلامية وخاصّة الأقلّيات المسلمة المتفرّقة.

- ما تثيره بعض الأطراف المسيحية من التوجهات الإسلامية الداعية لتطبيق الشريعة ، أو حول مصطلح أهل الذمة ، مما يتطلب حواراً إسلامياً مسيحياً عربياً لإعادة صياغة علاقات إيجابية بين أبناء الأمة الواحدة والوطن الواحد[٢] .

وأعتقد أن ذلك كلّه لا يحصل إلا بالاستجابة للتحديات على مستوى:

- إيجاد لغة مشتركة للحوار .

- الاعتراف المتبادل بالخصائص .

---

(١) من تلك التحرّشات ما ورد على لسان اللورد جورج كيري كبير أساقفة كنيسة كانتربري والزعيم الروحي للنصارى الإنجيليين، من أنّ الثاقفة الإسلامية مستبدّة وجامدة. كما تناول بالنقد العقائد الإسلامية. (صحيفة ديلي تلجراف: الجمعة ٢٦/٠٣/٢٠٠٤).

(٢) منير شفيق: مصدر سابق – ص ٢١ (بتصرف) .

- التخلّص من آثار الماضي .
- التغلّب على عدم المنهجية .
- الإيمان بجدوى الحوار .
- طرق القضايا المهمّة وترك القضايا الجدلية .
- التفكير الجاد في رؤى المستقبل[١] .

أمّا التوقّف عند عبارات فضفاضة ، مثل أنّ تعاليم الأديان الكبرى تمجد مبدأ التسامح أو أن جميع الأديان لها في جوهرها فكرة الأخوة العالمية ورسالة مشتركة من الرحمة والمحبة ، أو أن المصدر الرئيسي للتسامح يوجد في التعاليم الدينية التي تبشّر بعدم التمييز والإخاء والاحترام المتبادل بين البشر ، أو قد فشلت كل جهود المستعمر الأجنبي في التفرقة بين المسلمين والمسيحيين ، إن ذلك لا يكفي ولا يؤدي إلى حلول عملية ، إنما يكمن الحل العلمي في مواجهة صريحة لواقع حرج ، يحتّم على كل الأطراف التواضع على برنامج واضح ويدفون إلى نتائج عملية[٢] .

كما أنّ الحوار لا يتمّ فقط في إطار العقل والفكر والنصوص القانونية ، وإنّما يتمّ على أرض الواقع وفي مواجهة التحديات . ولا نظن أن التحديات التي تواجه مجتمعاتنا هي من قبيل التحديات الوهمية ، بل هي في حقيقة الأمر تحديات ماثلة أمامنا ، ما زالت تتراكم وتتعمّق . لذلك فمن الحصافة وحسن التدبير ، دعم مبادرات الحوار المختلفة والحرص على حضورها ، والسعي

---

(١) محمد عثمان صالح: مصدر سابق ـ ص ٣.

(٢) حسين أحمد أمين: الطريق التي التسامح الديني، مداخلة ضمن كتاب: التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات – جمع وترتيب: وليم سليمان قلادة، حسين أحمد أمين، محمد المسماري (وآخرون) طبعة ١/ ١٩٨٦ ــ سلسلة حوارات الشهر (١). مركز إتّحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية. ـ ص ٢٦.

لتوحيد كلمة الطرف الإسلامي للدخول بمشاريع موحّدة ، ثم البحث عن نقاط التقاء مع الطرف النصراني ، عند المشاركة في مؤتمرات دولية خاصّة التي تناقش قضايا حسّاسة . لذلك فإنّ معارضة الحوار بدعوى مخالفة الشرع والركون للكفار ، كلام لا يسنده نص من الوحي ولا اجتهاد بشري ، وبعيد كلّ البعد عن الواقع ، إن لم يكن مناقض لجوهر الدين . المهم توفر الإخلاص في النية وعدم قبول التنازل عن ثوابت الشرع .

*****